



أبو الحسن الندوي كاتباً ومفكراً



بقلم:

عبد الباسط أحمد

لطالما جادت أمة الإسلام بأعلام أعادوا للأمة صورة حية من حياة السلف الصالح، فكراً ودعوة وتربية وأدباً رصيناً، من بينهم بل من أجلهم الشيخ أبو الحسن الحسن الندي، رحمه الله. وقد كتب كبار الدعاة والعلماء والأدباء عن حياة الشيخ وعن فكره وأدبه، وقد أطلعت على كتاب صغير في حجمه كبير في مضمونه، حول هذا الداعية الكبير ومؤلفاته، عرض فيه مؤلفه نذر الحفيظ الندي الأزهرى تحت عنوان: «أبو الحسن الندي - كاتباً ومفكراً، في ضوء مؤلفاته وكتابات، وكما يراه علماء العرب والمسلمين وأدباؤهم» تحليلاً جيداً لكتب الشيخ ورسائله ومحاضراته، على اختلاف محاورها، وتنوع موضوعاتها. وأورد بعضاً من أقوال أعلام الفكر والأدب العرب عن الشيخ، وما تضمنته كتبه من أسلوب عذب، ومضامين هي في حد ذاتها مدرسة في الدعوة الواعية، عبر أسلوب يعد من شواخ الأدب الإسلامي، ولاغرو فالشيخ من أبرز دعاة هذه المدرسة، ومن أشد مناصريها ومؤيديها.

١٩٧٧.. ويضم مجموعة الكلمات والخطب والمحاضرات التي القيت بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده.

● إقبال الشاعر الثائر، نجيب الكيلاني، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط/١، ١٩٥٩.

● حفل إحياء ذكرى محمد إقبال، الدكتور محمد حسن الزيات.

● إقبال، الشاعر والفيلسوف والإنسان، الدكتور حميد مجيد هدو.

● إقبال، مقالات في مجلة الرسالة، ١٩٣٥، كتبها: أبو النصر الهندي.

● محمد إقبال في ذكرى مولده، ندوة كلية العلوم جامعة الكويت، نقلتها إذاعة الكويت ١٩٨٢ - ١٩٨٣.

■ ■ ■

■ الهوامش:

من العراق.

- (١) الندي، روائع إقبال ص ٤.
- (٢) الندي، روائع إقبال ص ٦.
- (٣) الندي، روائع إقبال ص ٩.
- (٤) الندي، روائع إقبال ص ١٣.
- (٥) الندي، روائع إقبال ص ١١ - ١٢.
- (٦) الندي، روائع إقبال ص ٢٢.
- (٧) الندي، روائع إقبال ص ١١.



يحتوي الكتاب على مقدمة، يليها تحليل وجيز لواحد وثلاثين كتاباً من كتب الشيخ؛ مضموناً وأسلوباً مدعوماً بأقوال كبار الدعاة والعلماء، والأدباء العرب والمسلمين، وختم الكتاب بكشاف للرسائل والمحاضرات، التي كتبها الشيخ، وألقاها في أماكن مختلفة من العالم.

بدأ المؤلف مقدمته ببعض أقوال كبار العلماء والدعاة عن الشيخ. فقد قدم الدكتور مصطفى السباعي، رحمه الله، لكتاب الأستاذ الندوي «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» بعد أن تحدث عن وجود حركة قوية في العالم الإسلامي، ترمي إلى الرجوع إلى الإسلام، كشرعية تنظم شؤون الحياة فقال «... ومن أعلام هذه الحركة المباركة الأستاذ أبو الحسن الندوي مؤلف هذا الكتاب، فهو عالم مصلح، وداعية مخلص، دأب منذ آتاه الله العلم، على الدعوة إلى الله، بقلمه ولسانه، وبرحلاته الدعوية إلى أقطار العروبة والإسلام، وبجولاته الموفقة في ميادين الدعوة، حتى إنه ليعد من أبرز أعلام الإسلام والمصلحين في ديار الهند، وله تلاميذه المنتشرون في كل بلد، وله كتبه ومؤلفاته، التي تتميز بالدقة العلمية، وبالغوص العميق في تفهم أسرار الشريعة، وبالتحليل الدقيق لمشكلات العالم الإسلامي ووسائل معالجتها، عدا مايمتاز به من روح مشرقة، وخلق نبوي كريم، ومعيشة تذكر بعلماء السلف الصالح، في زهده وتقشفه، وعبادته وكرامة نفسه». يضيف المؤلف أن مؤلفات الشيخ الندوي تحتل مكانة بارزة، في مجال الدعوة والتربية الإسلامية، وتمتد هذه الجهود على مدى نصف قرن كامل، في كتاباته ومحاضراته، ورسائله وجولاته الميدانية، وأعماله التعليمية، والتربوية والاجتماعية، في



الشرق والغرب، بحيث سد الفراغ الهائل في مجال الكتب الدراسية التي تهتم بتعليم أطفال المسلمين عقائد الإسلام الأساسية، وتعتنى بالناحية التربوية، وتركز على تعليم اللغة العربية. كما يقول: إن موهبة الشيخ الندوي تجلت في ميدان الأدب الإسلامي، عندما رأى جموداً وتقليداً سائدين في هذا الميدان، فخرج بكتابه «مختارات من أدب العرب (١-٢)». ومقدمة هذا الكتاب تعتبر ثورة في التفكير، وتحدياً غير عادي في مجال الأدب، فاعترف كبار الأدباء العرب بفضل هذا الكتاب؛ في فتح كوة جديدة على آفاق الأدب الإسلامي الواسعة، وأصبح الكتاب فيما بعد نواة جديدة، وقاعدة محكمة لتأسيس نظرية الأدب الإسلامي الصحيحة. يقول الأديب الكبير الأستاذ علي الطنطاوي رحمه الله في تقديمه لكتاب «المسلمون في الهند»، ص ٤-٥: «وإذا كان الدليل على ذوق الأديب اختياره، فحسب القراء أن يعلموا، أننا عرضنا من أمد قريب كتب المختارات الأدبية، لنتخير واحداً منها نضعه بين أيدي تلاميذ الثانويات الشرعية في الشام، وذهب كل واحد من أعضاء اللجنة - وكلهم من الأدباء - يبحث ويفتش، فعدنا جميعاً وقد وجدنا أن أجود كتب المختارات المدرسية، وأجمعها لفنون القول وألوان البيان «مختارات أبي الحسن».

ويعرض المؤلف كذلك لبعض كتب الشيخ، التي دعا فيها إلى الإصلاح والتجديد وإعادة مجد الإسلام الغابر، فيقول: إن الباحثين والكتاب والمؤرخين، قد اعتادوا النظر إلى المسلمين من خلال التاريخ العالمي، كشعب عادي، وكأمة من أمم كثيرة، ولكن أبا الحسن تخطى هذا الحد المرسوم، وخرج من الإطار التقليدي، فأراد أن ينظر إلى العالم من خلال المسلمين، فقلب، الموضوع وبحث عن «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» فكان كتابه هذا ثورة في التفكير، وفي أسلوب البحث والتحليل، وتقوية لمعنويات المسلمين، وإثارة روح الثقة والاعتزاز فيهم؛ بدينهم ومركزهم، والتهيؤ لقيادة العالم من جديد؛ ليردوا إلى الإنسانية اعتبارها، وإلى العالم السعادة والسلامة. وقد حاز هذا الكتاب إعجاب المفكرين والباحثين، في الشرق والغرب، واعتبروه من خيرة الكتب التي صدرت في هذا القرن بل قرروا أن قراءة هذا الكتاب فرض على كل مسلم، يعمل لإعادة مجد الإسلام.

ويضيف الكاتب أن موهبة الشيخ أبي الحسن الندوي

تجلت في الثورة على منهج تأليف التاريخ، الذي يدور حول الملوك وحاشيتهم، وحول الحروب والحوادث السياسية، المنهج الذي قاد بعض المتحمسين والمؤلفين العصريين خطأ إلى الاعتقاد أن تاريخ الإصلاح والجهاد في الإسلام متقطع، وأن هناك ثغرات أو ثلثات في الإصلاح والتجديد، فقام الأستاذ الندوي باستعراض التاريخ الإسلامي من جديد، وتجاوز في دراسته من كتب التاريخ، الرسمي المصطلح، وتعدى هذه الكتب، إلى الكتب التي لا تحمل اسم التاريخ ولا توجد في ركن التاريخ في مكتبة، ولكنها مادة واسعة للباحثين والمؤرخين، وتملاً فراغا مهما في التاريخ الإسلامي، وبهذا جاء كتابه «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» ليجلو الغبار عن الكثير من أعلام الإسلام وكذلك الذين أرسوا لهذه الأمة أسس نهضتها وقوتها.

كثير من كتب الشيخ أبي الحسن تنصب على بحث واقع المسلمين، وبيان علل المجتمع الإسلامي وكذلك الغربي، وأسباب ضعف المجتمع الإسلامي، وسبل النهوض به من كبوته، واستعادة مجده كقائد للناس في شتى مناحي الحياة، بل تعداه إلى إزالة الغبار عن مقاصد الإسلام الحقيقية، فجاء كتابه «الأركان الأربعة»، ليضيف صفحة جديدة في دراسة الفكر الإسلامي، مبينا الكثير من جوانب هذه الأركان الجليلة، وصلتها بالحياة، وحلها لكثير من المشكلات والمعضلات. ولا يقف الشيخ عند هذا الحد، بل يذهب مذهبا واعيا، في تحليل الوقائع والأحداث التي هزت كيان المجتمع الإسلامي وفي نقد الأفكار الغربية وفلسفاتها وحضاراتها اللاتينية. وهذا ما يتجلى واضحا في كتابه «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» و«الصراع بين الإيمان والمادية» و«نحو التربية الإسلامية الحرة في الاقطار الإسلامية» حيث وجهها إلى الطبقة المثقفة، التي تعتبر من أقوى الأسباب والعوامل وراء انحراف المجتمع الإسلامي المثقف عن الجادة، منوها بحقيقة أنه لا بد من تغيير جذري في منهج التعليم والتربية، والعودة إلى الإسلام من جديد.

بعد ذلك يعرض المؤلف لأساليب الشيخ العلمية والأدبية والخصائص البارزة لأفكاره وآرائه، ناقلا بعض الانطباعات التي أبداها كبار العلماء والقادة والمربين والمفكرين، في العالمين الإسلامي والعربي. فمن ذلك قول

الأستاذ أنور الجندي في مجلة «رابطة العالم الإسلامي» (ص ٢١): «أسلوب الشيخ الندوي في غاية الروعة والجمال، وله قدرة عالية في البيان، وعمق الفهم للإسلام.. يستغرب الناس ويندهشون حينما يرون تنوع مؤلفات الشيخ الندوي، تتميز كلها بالإبداع، والدقة العلمية والأسلوب القوي، فيتساءلون عن منابع القوة والتأثير، والحيوية والسحر الحلال. كما يشير الأستاذ محمد المجذوب رحمه الله في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» إلى أن «... لعباراته الأدبية سحرا لا يتوافر عادة إلا في العلية من أصحاب المواهب، الذين تعمقوا سر الكلمة وتفاعلوا به... وتلك هي الخاصة الرئيسية، التي يمتاز بها أبدا أولو الأذواق الروحية، من المتخرجين من مدرسة القرآن».

لقد جمع الشيخ بين جمال الأسلوب اللفظي والذوق المصفي والحس المرهف، وبلاغة الأولين وسهولة المتأخرين، وهذا ما يشير إليه الأستاذ أحمد محمد طحان في مجلة المجتمع الكويتية، معلقا على كتاب الندوي «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» فيقول: «..... كاتب إسلامي عظيم، من طبقة العلماء القلائل، الذين جمعوا بين العرض الموضوعي العلمي الدقيق، وبين المقارنة الواسعة والحل المناسب، ضمن أسلوب أدبي رصين، جمع بين بلاغة الأولين وسهولة المتأخرين»

بعد هذه المقدمة يعرض المؤلف لكتب الشيخ الندوي بالتحليل، مبينا ما امتازت به كتاباته من جمال الأسلوب وعمق المعنى، داعما تحليله هذا بأقوال كبار الأدباء والدعاة المعاصرين للشيخ. وإن كان يصعب في هذه العجالة استعراض جهود الشيخ في التأليف والدعوة، والتجديد والتأصيل، إلا أننا سنحاول وضع محاور ننطلق من خلالها، إلى بيان ما انصبت عليه جهود الشيخ، خلال رحلته الدعوية والفكرية الطويلة في الحياة، من خلال بعض كتب الشيخ التي استعرضها المؤلف في كتابه.

■ محور الدعوة:

لا شك أن الشيخ يعتبر من أبرز الدعاة إلى الله في العصر الحديث، فهو مدرسة في الدعوة الواعية الآمنة، بعيدا عن الغلو والتشنج، وله في ذلك جهود مباركة؛ بقلمه ورحلاته ومحاضراته. ومن أبرز كتب الشيخ في هذا المجال «ماذا

خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» وهو الكتاب الذي يعد من أشهر مؤلفات الأستاذ الندوي، وأوسعها انتشاراً، وهو ثورة في التفكير الإسلامي، ذلك أنه ينظر إلى العالم من خلال المسلمين بدلاً من النظر إلى المسلمين من خلال العالم، بل هو كما يقول عنه سيد قطب - رحمه الله - في مقدمته للكتاب بأنه يمتاز «بالفهم العميق لكليات الروح الإسلامية في محيطها الشامل». بل هو كتاب يبين علل المجتمع الإسلامي، ويقدم الحلول لها، ويدعو المسلمين إلى العودة لقيادة العالم من جديد. ومن الكتب التي اهتم الشيخ من خلالها بأمر الدعوة كتابه «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» حيث حشد الشيخ في أربعة أجزاء رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ابتداء من القرن الهجري الأول وانتهاء بالقرن الرابع عشر الهجري، وبذلك سد ثغرة في دراسة التاريخ الإسلامي، بشهادة كثير من أعلام الفكر والدعوة في العالم الإسلامي. وثالث كتبه في هذا المجال «إلى الإسلام من جديد» وهو عبارة عن مجموعة محاضرات؛ ينصح فيها الشيخ الأمة المسلمة بالعودة إلى مكانتها؛ كأمة معلمة مرشدة، في عالم مثخن بالجراح والآلام جراء كفره بالله وبدينه، هذا بالإضافة إلى العديد من الكتب والرسائل والمحاضرات في مجال الدعوة الإسلامية.

■ محور التربية:

أدرك الشيخ أبو الحسن أن لا نهضة لهذه الأمة إلا بتربية أجيالها من الأطفال والشباب، على أسس واعية تدرك عظمة دينها، وتبلغه إلى الناس بعيداً عن التهجم والغلظة. وقد



برع الشيخ في هذا المجال، وتعددت فيه كتبه. ومن أبرز كتبه في هذا الميدان «التربية الإسلامية الحرة» و«العقيدة والعبادة والسلوك» و«الأركان الأربعة»، راعى الشيخ فيها فهم الجيل المعاصر ونفسيته وذوقه، بأسلوب عصري قمة في البيان. وهذه المجموعة من الكتب تصلح لأن تكون دليلاً إلى الاعتقاد السليم المطلوب، والسلوك الإسلامي الجامع، ودستوراً لحياة المسلم، الطالب للحق، الباحث عن الأسوة النبوية، في الأعمال والأخلاق.

■ محور السير والنزاج:

لم يكن الشيخ يقصد من وراء تراجم أعلام الدعوة والفكر في الإسلام، إلى مجرد السرد التاريخي لهذه الأسماء، بل عني بما وراء هذه الشخصيات، من فكر ودعوة تحفز الشباب المسلم على اقتفاء أثرها في الجهاد لنصرة دين الله، في شتى ميادين الحياة. ومن أبرز كتبه في هذا المجال «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» في أربعة أجزاء استعرض فيها جهود المفكرين والدعاة المسلمين، من القرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الرابع عشر، بالإضافة إلى كتب أخرى يطالع القارئ أسماءها ومضامينها في الكتاب موضوع هذا العرض.

■ محور الأدب الإسلامي:

من يقرأ كتب الشيخ الندوي يدهش للأسلوب العذب والبيان المتألق لكتابات. فلا يكاد القارئ يبدأ أول صفحة من أي كتاب للشيخ، حتى يتعلق به ويتوقف عنده حتى ينتهي منه. وقد اهتم الشيخ بمفهوم الأدب الإسلامي، وسانده كل المساندة، وهذا ماتجلى واضحاً في كتبه القيمة من مثل: «روائع إقبال» و«روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة» وغيرهما. وقد تجلى في هذه الكتب الصفاء الذي يتمتع به الشيخ في الأسلوب، والغنى في اللفاظ، والسلاسة في التعبير.

وفي الختام، فإن الشيخ أبا الحسن، رحمه الله، علم من أعلام الفكر الإسلامي مضى، وعزيز أن يأتي الدهر بمثل من مضى. وكتاب «أبو الحسن الندوي مفكراً وكتاباً» كتاب جدير بالقراءة، ذلك أنه يعرف بالشيخ أبي الحسن وكتبه تعريفاً موجزاً وممتعاً، يمكن القارئ من قراءة كتب الشيخ باستيعاب لمضامين هذه الكتب، وتذوق للأسلوب الذي كتبت به.